مركـــز رواق بـغـــداد
REWAQ BAGHDAD CENTER

تقدير موقف | تشرين الثاني 2022,3

التوجه الإيراني نحو أفريقيا.. الأدوات_الدوافع_التحديات

إعداد : كرم سعيد

مقدِّمة

تؤسس اتفاقيات الشراكة الاستراتيجية الشاملة التي وقعتها إيران مع قطاع معتبر من الدول الأفريقية خلال المرحلة الأخيرة, وآخرها توقيع وزير الخارجية الإيراني عدد من مذكرات التعاون خلال جولته الأفريقية في 27 أغسطس الماضي, والتي ضمت مالي وتنزانيا وزنجبار. كما صرح الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي في مطلع يناير 2022, بأن "إقرار وتوطيد العلاقات مع دول القارة الأفريقية من أولويات السياسة الخارجية لإيران خلال العهد الجديد". ويؤسس الانفتاح الإيراني على القارة الأفريقية لمرحلة جديدة في العلاقات, أساسها التعاون طويل الأمد وزيادة الاعتماد المتبادل بينهما في المجالات العسكرية والاقتصادية فضلاً عن رغبة إيران في بناء نفوذ عابر للحدود.

أدوات متنوعة

تعتمد إيران في تطوير العلاقات مع أفريقيا على عدد من الآليات في الصدارة منها التركيز على مسار التنمية في القطاعات الاقتصادية والتجارية والسياسية ناهيك عن تعزيز التعاون العسكري. كما توظف إيران دبلوماسيتها الناعمة لتعظيم حضورها في القارة, وذلك من خلال إنشاء المساجد والمراكز الثقافية والجمعيات الخيرية والمؤسسات التعليمية فضلاً عن التبرع بملايين من جرعات لقاح كوفيد 19.

بالتوازي مع ذلك, توسعت طهران في نشر بعثاتها الدبلوماسية, حيث تمتلك الجمهورية الإسلامية أكثر من 30 سفارة في القارة الإفريقية , وهو ما وفر لها بيئة خصبة للحصول على صفة العضو المراقب في الاتحاد الإفريقي. ومن المرجح أن تساهم الآليات والأدوات الإيرانية في زيادة نطاق مشاركة الشركات

الإيرانية في مشاريع القارة ونهضتها, وبما يُعوِّض التداعيات السلبية التي أفرزتها العقوبات الغربية على إيران.

أهداف عديدة

ثمة أهداف متعددة ربما تفسر اهتمام إيران بتطوير ودفع العلاقات مع القارة الأفريقية, والتي يمكن رصدها على النحو التالي:

1 ـ استيعاب الضغوط الغربية: مع استمرار التشاؤم بشأن المفاوضات النووية بين إيران والقوى الغربية, وهو ما كشف عنه مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية في 22 سبتمبر 2022 على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة, حيث قال إن الجهود المبذولة لإحياء الاتفاق النووي الإيراني لعام 2015 "وصلت إلى طريق مسدود", بسبب إصرار إيران على إغلاق تحقيقات الوكالة الدولية للطاقة الذرية في أنشطتها النووية. [1]كما أن ثمة ضغوط إسرائيلية مكثفة لثني الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة عن إعادة إحياء اتفاق 2015 حول البرنامج النووي الإيراني.

لذلك فإن فرص إبقاء العقوبات على إيران تبقى الأوفر. هنا, يمكن فهم التحرك الإيراني نحو البحث عن دوائر استراتيجية جديدة لدعم اقتصادها المنهمك من جهة, ومن جهة أخرى كسر عزلتها التي تزيد حال فشل المفاوضات النووية.

لذا تسعى طهران إلى تعزيز علاقاتها مع الدول الأفريقية, وبخاصة دول شمال وغرب أفريقيا بشكل خاص, وهو ما تعكسه تحركات طهران في توثيق العلاقة

[1] ـ أميركا: مفاوضات إحياء الاتفاق النووي مع غيران وصلت إلى طريق مسدود، موقع العربي الجديد، 23 سبتمبر 2022، متاح على الرابط: https://bit.ly/3BZlVQ7

مع الجزائر ناهيك عن إعلانها عن فتح معرض للتكونولوجيا الفائقة في مالي خلال الفترة المقبلة, بهدف عرض المنتجات الإيرانية المتقدمة, وفتح أسواق جديدة لها في غرب أفريقيا.[2]

2_دفع العلاقات الاقتصادية :لا تنفصل التحركات الإيرانية تجاه أفريقيا عن رغبتها في تعزيز الحضور الاقتصادي, على نحو عكسته تصريحات "قناد زاده" مشرف إدارة الشؤون الأفريقية بمنظمة تنمية التجارة الإيرانية, في 16 أغسطس 2022؛ حيث أكد على أن بلاده تخطط لفتح سبعة مراكز تجارية جديدة في أفريقيا, بحلول نهاية عام 2023, وأضاف, في اجتماع بالدار الإيرانية_الأفريقية, أنه منذ بداية العام الجاري 2022, قام 400 وفد تجاري أفريقي بزيارة البلاد, وأشار إلى أن إيران أبرمت عدداً من العقود لتطوير البنى التحتية والشحن والنقل البحري والجوي, لافتاً إلى استعدادات لتوقيع عقد مع جنوب أفريقيا لتدشين خط ملاحي جوي وخطوط بحرية أخرى.

في المقابل كان الملف الاقتصادي حاضراً, بصورة واضحة, في الجولة الأفريقية الأخيرة في أغسطس الماضي لوزير الخارجية الإيراني؛ فعلى سبيل المثال, أشار الوزير عبد اللهيان الإيراني أثناء لقائه رئيسة تنزانيا في 26 أغسطس الماضي – إلى "الإمكانات الاقتصادية الهائلة لإيران, بما في ذلك قدراتها في مجالات التجارة والطاقة والصناعة والمجالات التكنولوجية والأكاديمية. وبالتوازي مع ما سبق, تخطط طهران لزيادة حجم التبادل التجاري بين إيران والدول الأفريقية من 1.2 مليار دولار حالياً إلى 2.5 مليار بنهاية العام

[2] - كسر العزلة: دلالات جولة وزير الخارجية الإيراني في أفريقيا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 5 سبتمبر 2022، متاح على الرابط: https://bit.ly/3xJb23m

2022, و5_6 مليارات دولار في عام 2026.[3] كذلك يشار إلى أن شركات صناعة السيارات الإيرانية وجدت سوقا لتصدير منتجاتها إلى أفريقيا.

3_توظيف تراجع القوى التقليدية في أفريقيا: تشهد القارة, وبخاصة غرب أفريقيا حالياً تحولات جيوسياسية, مع تصاعد حدة التنافس الدولي والإقليمي في المنطقة, في ظل تراجع النفوذ الفرنسي والغربي في مالي والنيجر وتشاد, وهو ما ظهر في إعلان الرئيس الفرنسي في فبراير 2022 عن قرار بلاده إنهاء وجودها العسكري في مالي الذي تم تنفيذه في عمليتين عسكريتين كبيرتين, عملية "سيرفال", وعملية "برخان", واكتمال هذا الانسحاب في أغسطس الماضي.[4] ناهيك عن انشغال موسكو بالأزمة الأوكرانية, وسعى الصين إلى توجيه جانب معتبر من اهتماماتها السياسية والعسكرية ناحية تايوان بعد زيارة رئيسة الكونجرس الأمريكي للزيارة, وتصاعد الدعوات الأمريكية للتأكيد على سيادة تايوان, والإقرار بمواصلة دعم واشنطن عسكريا وسياسيا لتايوان, وهو ما اثار قلق بكين. في هذا السياق, تسعى طهران إلى توظيف التطورات الراهنة لتعزيز وجودها في غرب أفريقيا.

4_فتح أسواق جديدة للسلاح: تحاول إيران بصورة لافتة تسويق صناعاتها العسكرية في الأسواق الأفريقية بصورة أساسية. ولعل هذا ما تجسد بوضوح في صفقات المسيرات مع بعض دول القارة, منها إثيوبيا ومالي والنيجر وتنزانيا. ونجحت إيران في توظيف حاجة بعض الدول الأفريقية للسلاح في الوقت الراهن, خاصة في ظل تصاعد حدة الهجمات الإرهابية واتساع نطاقها, ولذا رجحت بعض التقديرات إلى احتمال توسع الصادرات العسكرية الإيرانية

[3] - لماذات تهتم إيرانبتطوير علاقاتها مع الدول الأفريقية؟، 2 سبتمبر 2022، متاح على الرابط: https://bit.ly/3C3tMNr
[4] - فرنسا تعلن انسحاب أخر جنودها من مالى ضمن عملية "برخان"، الميادين، 15 أغسطس 2022، متاح على الرابط: https://bit.ly/3dE2bcy

لدول مثل مالي وتشاد, وبعض دول القارة التي تعاني من انتشار الجماعات الراديكالية.

5_الحصول على اليورانيوم الأفريقي: يأتي الاهتمام الإيراني بتعزيز العلاقات مع أفريقيا في سياق رغبتها في الاستمرار على تأمين مخزونات إضافية من اليورانيوم, خاصة في ظل طموح إيران لبناء 16 مفاعلًا نوويًا لإنتاج الطاقة واستخدامها لأغراض مدنية. ونظرًا لما قد يترتب على ذلك من إمكانية نفاذ مخزونها خلال فترة وجيزة, لذا بات من الأهمية بمكان الاهتمام بالدول الأفريقية المنتجة له واعتبار العلاقة معها ذات بعد استراتيجي كبير. ومن المعروف أن هناك العديد من الدول الأفريقية التي يتواجد بها احتياطات كبيرة من اليورانيوم, منها النيجر, الأولي أفريقيًا والرابعة عالميًا, وناميبيا, الثانية أفريقيًا والخامسة عالميًا, فمالاوي, الثالثة أفريقيًا والعاشرة عالميًا, فضلا عن غينيا- توغو "غرب أفريقيا ", وأفريقيا الوسطى, والكونغو الديمقراطية, وأوغندة "وسط أفريقيا", زيمبابوي "جنوب أفريقيا", جنوب القارة[5].

6_تعزيز التمركز في المناطق البحرية: تتمتع القارة الأفريقية بمواقع استراتيجية على عدد واسع من المنافذ البحرية, وبخاصة البحر الأحمر والمتوسط والمحيط الهادي. ويبدو أن ثمة تطلعات إيرانية لإيجاد موطئ قدم لها هناك في ظل رغبة إيران في تعزيز تموضعها في طرق الملاحة الدولية, لاسيما مع إمساك القارة بعدد من الطرق البحرية التي يمكن أن توفر منصة استراتيجية للتأثير على مقاربات خصوم إيران في أفريقيا من جهة, ومن جهة أخرى توظيف هذه الطرق كبديل محتمل لطرق الشحن والتجارة في البحر

[5] - د. بدر حسن شافعي: الدور الإيراني في أفريقيا: المحددات التحديات، المعهد المصري للدراسات، 14 فبراير 2020، متاح على الرابط https://bit.ly/3UCzbCr

الاحمر والمحيط الهادي, حال استمرار تصاعد التوتر مع القوى الدولية, وبخاصة الولايات المتحدة والقوى الأوروبية.[6]

7_الأصوات الأفريقية في الأمم المتحدة : في ضوء الضغوطات الغربية والإقليمية التي تتعرض لها طهران بسبب برنامجها النووي, وتصاعد حدة الانتقادات لأوضاع الداخل الإيراني وقمع النظام الحاكم للخصوم, سعت الحكومات الإيرانية المتعاقبة, إلى تعزيز مكانتها الدولية, وبخاصة في المؤسسات الدولية مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة, ومجلس الأمن, ومنظمات حقوق الإنسان الدولية.وللقيام بذلك, كانت بحاجة إلى دعم الدول الأفريقية التي كانت طهران تأمل في الحصول عليها مقابل التعاون العسكري والاقتصادي.

8_موازنة حضور الخصوم الإقليميين والدوليين: مع تصاعد مؤشرات التطور والنهضة التي بدأتها بعض الدول الأفريقية في نهاية القرن الماضي, بفضل نمو الاستثمارات الصينية والهندية والغربية والتركية والروسية, أدركت إيران حاجتها إلى تعزيز نفوذها في أفريقيا لموازنة حضور خصومها الإقليميين والدوليين أو على الأقل التأثير على مقارباتهم حيال المصالح الإيرانية. ويشار إلى أنه منذ نهاية ثمانينيات القرن الماضي تحاول إيران أن تلقي بظلالها على أفريقيا.

تحديات قائمة

ثمة تحديات قد تواجه الانخراط الإيراني في القارة الأفريقية, في الصدارة منها مساعى القوى الدولية, وبخاصة فرنسا ومن خلفها الولايات المتحدة

[6] - إبراهيم ناصر، إيران اسست لـ "جهادها البحري" من خلال نشق القرن الأفريقي، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، 31 أكتوبر 2021، متاح على الرابط: https://bit.ly/3BH8VhO

لمحاصرة الدور الإيراني في افريقيا ناهيك عن مخاوف بعض دول القارة من أن يلقى أي دور إيراني في التفاعلات الأفريقية بتبعات مركبة على ترتيبات الأمن الإقليمي في منطقة البحر الأحمر والمحيط الهادي، لا سيما في ظل تصاعد حدة الصراع بين طهران والغرب.

على صعيد ذي شأن، تمثل الانتكاسة التي يعانيها الاقتصاد الإيراني، بسبب استمرار العقوبات الغربية، وفرض قيود على نشاط الشركات الإيرانية تحدياً على نشاطات إيران في القارة الأفريقية، والتي تعتمد في جانب منها على تقديم المساعدات المالية والإنسانية.

ختاماً :

يمكن القول إن الرؤية المستقبلية للعلاقات الإيرانية الأفريقية بالرغم التحديات التي تواجهها، فإنها تطرح تنامياً وتزايداً في كثافة التفاعلات المرتبطة بها على مختلف المستويات، ولا سيما العسكرية والاقتصادية، ويعزز من ذلك المصالح المتبادلة بين الطرفين، فمن جانب تسعى أفريقيا إلى تنويع شبكة علاقاتها الخارجية عبر تجاوز تحالفتها التقليدية مع القوى الغربية، ومن جانب آخر تسعى إيران إلى استيعاب الضغوط الغربية عليها، وكسر عزلتها من خلال بناء شبكة تحالفات استراتيجية مع الدول الأفريقية لتعزيز مكانتها العالمية .

مركـــز رواق بغـــداد

REWAQ BAGHDAD CENTER